وقف مركز مكة العالمي للهدى القرآني
جمعية القلم للدراسات والأبحاث
مؤتمر
هدايات القرآن في بناء الإنسان

عنوان البحث:

هدايات القرآن في تعزيز السلوك الإيجابي للإنسان

اسم الباحث/ـة

د/ إبراهيم حميد علي جوله

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فهو المهتدي، ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشداً، نحمدك يا رب حمداً يليق بجلال وجهك وعظيم سلطانك، أرشدت بشريعتك البشرية إلى كل خير، وهديت الناس إلى سبل السلام وقيم العلا، فذهب عنهم الشقاء، وأصبح كل مؤمن في خير وعافية ما تلا وطبق هدايات الرحمن، وتناما الخير في الفرد والأسرة والمجتمع بتطبيقهم السلوكيات الإيجابية المنزلة في كتابك وسنة نبيك صلى الله عليه وسلم، فلك الحمد يا رب على تجدد النور ، وسعة التهذيب، ومرونة التعليم، وشمول هديك كل شأنٍ فيه ارتقاءٌ للسلوك الإنساني نحو القمة والعلو.

تأملت قبل أن أخطّ هذه السطور في الهدايات القرآنية في تعزيز السلوك الإيجابي، فوجدتها نوراً يضيء لنا كل قيمةٍ ومسلك، وخُلقاً يرتقي بنا في معارج الإيجابية الحادية والمرشدة إلى الفضيلة، والسمو الروحي، والنُبل الشخصي، والخُلق الجمعي، ومن ذا يستطيع أن يجمع بركات هذا الفيض في وريقات معدودة؟ لكني أشير إليها، وأُلمح لها لتَسْهُل للقاصدين دروب الهداية، ولعاشقي الإيجابية سبل الرقي والرشاد، فأشرت إلى وسائل القرآن المتنوعة والمتدرجة في تحقيق الإيجابية في السلوك الإنساني.

أهداف البحث:

يسعى البحث لتحقيق الأهداف الآتية:

١ توضيح شمولية هدايات القرآن لجميع مجالات الإيجابية في سلوك الإنسان

٢ بيان تدرج هدايات القرآن في تهذيب السلوك وترويضه وتنميته.

٣ إظهار أثر هدايات القرآن الإيجابية على سلوكيات الفرد والمجتمع.

مشكلة البحث وأسئلته:

تكمن مشكلة البحث في الحاجة إلى تسليط الضوء على دور الهدايات القرآنية في اكتساب الفرد والأسرة والمجتمع للسلوكيات الإيجابية، وذلك من خلال الإجابة على التساؤلات الآتية:

١- هل تطرق القرآن للسلوكيات الإيجابية الفردية والمجتمعية؟

٢- كيف حفز المصدر الأول للتشريع سلوكيات الإنسان الإيجابية الباطنة والظاهرة؟

٣- هل شملت الآيات المحفزة للسلوك الإيجابي جميع المجالات الحياتية، والشرائح المجتمعية؟

أهمية البحث:

تكمن أهمية البحث في التالي:

١. لفت الانتباه إلى عظمة هدايات القرآن في بناء السلوك الإيجابي للإنسان، وانفرادها دون غيرها من التشريعات بالسلوك الإيجابي الوجداني من مشاعر وأحاسيس، وكذلك شمولها لكل شرائح المجتمع، ومجالات الحياة المتنوعة.

٢. تعزيز التدبر في أثر الهدايات على السلوك الإيجابي للإنسان مِن سمو المقصد، وترتيب الأولويات، وتنظيم الوقت، وتقويم اللسان، وحفظ النظر، وتعزيز الانضباط، وتوسيع نطاق الرحمة، والاهتمام بالغير، والعطف على الضعيف، ودماثة الأخلاق، والتشبث بقيم القوة، وعلو الهمة.

٣. إرشاد الدعاة والمعلمين إلى استخراج الهدايات القرآنية المتميزة بالاتزان في بناء السلوكيات النافعة، لتكون حادياً لهم لتحقيق مرامهم في تعليم الأجيال، وتهذيب سلوكيات النشء دون تعدٍ، كغرس الثقة بالنفس مع نبذ الكِبر والخيلاء، والدعوة للرحمة دون الضعف والهوان، وغيرها.

منهجية البحث:

لقد اتبعت في هذا البحث المنهج الوصفي مع تتبع الآيات وتحليلها لاستخراج الهدايات القرآنية المعززة للسلوكيات الإيجابية في الإنسان.

خطة البحث:

قسمت البحث إلى: **مبحث تمهيدي** احتوى على التعاريف، **ومبحثين رئيسيين**، ثم الخاتمة، والتوصيات، والمراجع والمصادر.

واشتمل المبحثان على:

المبحث الأول: تحقيق الهدايات القرآنية للسلوك الإيجابي في الإنسان. ويندرج تحته مطلبان:

المطلب الأول: هدايات القرآن والسلوكيات الباطنة.

المطلب الثاني: هدايات القرآن والسلوكيات الظاهرة.

المبحث الثاني: شمول الهدايات الربانية وتحفيزها للسلوك الإنساني، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: شمول الهدايات القرآنية لشرائح المجتمع.

المطلب الثاني: شمول الهدايات القرآنية لمجالات الحياة.

مبحث تمهيدي

أولاً: تعريف هدايات القرآن:

الهداية لغةً: الهُدَى، بضم الهاء وفتح الدال: الرشاد، والدلالة، وهداه هُدَى وهَدْيَاً وهِدَايَة وهِدْيَة، بكسرهما: أرشده، فهدى واهتدى، وهداه الله الطريق.(١)

هدايات القرآن في الاصطلاح: هي الدلالة المبينة لإرشادات القرآن الكريم التي توصل لكل خير، وتمنع من كل شر.(٢)

ثانياً: تعريف الإيجابية:

الإيجابية هي: اسم مؤنث منسوب إلى إيجاب: (أعمال – نتائج إيجابية).(٣)

إيجابية: مصدر صناعي من إيجاب: كل ما يصدر من أمور ناجحة. (٤)

ثالثاً: تعريف السلوك:

السلوك لغةً: مصدر سَلَك طريقا. والمسلك: الطريق. والسلك: إدخال الشيء تسلكه فيه كما يطعن الطاعن فيسلك الرمح فيه. (٥) والسَلك بالفتح: مصدر سلكت الشيء في الشيء فانسلك أي أدخلته فيه فدخل.(٦)

---

(١) القاموس المحيط – مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى – جـ ١، ص ١٣٤٥ – الناشر: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – الطبعة: الثامنة، ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥ م.

(٢) الهدايات القرآنية – تأليف: نخبة من المختصين في الهدايات القرآنية – ص٤١ – من إصدارات جامعة أم القرى، مركز مكة العالمي للهدى القرآني – الطبعة الثانية.

(٣) معجم اللغة العربية المعاصرة – د. أحمد مختار عبد الحميد بمساعدة فريق عمل – جـ ٣، ص٢٤٠١– الناشر: عالم الكتب – الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ هـ – ٢٠٠٨م.

(٤) المرجع السابق.

(٥) تهذيب اللغة – محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور – جـ ١٠، ص ٣٨ – الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت – الطبعة: الأولى، ٢٠٠١م.

(٦) لسان العرب – أبو الفضل جمال الدين ابن منظور – جـ ١٠، ص٤٤٢ – الناشر: دار صادر، بيروت – الطبعة: الثالثة – ١٤١٤ هـ.

السلوك في الاصطلاح: سيرة الإنسان ومذهبه واتجاهه، يقال فلان حسن السلوك، أو سيء السلوك. [١]

والسلوك في علم النفس: الاستجابة الكلية التي يبديها كائن حي إزاء أي موقف يواجهه.[٢]

(١) المعجم الوسيط – تأليف: مجمع اللغة العربية بالقاهرة – جـ ١، ص٤٤٥ – الناشر: دار الدعوة – المكتبة الشاملة – الإصدار الثالث.

(٢) المرجع السابق.

المبحث الأول: تحقيق الهدايات القرآنية للسلوك الإيجاب

تنقسم السلوكيات الإنسانية إلى قسمين: سلوكيات ظاهرة نراها وندركها، وسلوكيات غير ظاهرة، باطنة لا ترى. وقد اهتم التشريع بها جميعاً، غير أني بدأت بالسلوكيات غير الظاهرة لما لها من انعكاسات مباشرة على السلوكيات الظاهرة، وهذا ما سأذكره في المطلب التالي.

المطلب الأول: هدايات القرآن والسلوكيات الباطنة:

اعتنى القرآن الكريم بالإنسان، وحفز سلوكه الداخلي نحو الإيجابية عَبْر ترسيخ الطمأنينة في نفسه، وإزالة الضبابية لديه، فعرّفه بخالقه وخالق هذا الكون الفسيح، والغاية من خلقه، كون الجهل بهذه الأشياء يولد القلق والخوف والحيرة والإحباط، ويعمّق السلبية المفضية للاكتئاب والقنوط، ولذلك رأينا عناية الله المتمثلة في آيات القرآن وهدي الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم تأخذ هذا الإنسان من شواطئ الفوضى الفكرية، وبحار القلق والخوف والجهل والشك إلى شاطئ الهداية والعلم والمعرفة المبددة لكل مكامن الشك، ومضانّ القلق، وزود الخالق سبحانه الإنسان بوسائل الإدراك والتدبر التي تمكنه من معرفة الهدايات وفهمها وتدبرها، فالسمع والبصر وبقية الحواس مؤهلة لتلقي هذه الهدايات والإرشادات من القرآن والسنة،

ومن هذا الكون الفسيح الدال على عظمة خالقه، فنجد القرآن الكريم يُعَرف الإنسانَ على خالقه وخالق كل شيء، وأن هذا الكون الفسيح من صنعه وإتقانه جل في علاه، قال سبحانه: ﴿ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ٦٢ ﴾[1] ويقول جل ذكره: ﴿ وَتَرَى ٱلۡجِبَالَ تَحۡسَبُهَا جَامِدَةٗ وَهِيَ

(١) سورة الزمر، الآية ٦٢.

تَمُرُّ علاه المراحل ﴿ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴿٨٨﴾ ﴾[1] وهنا تُردم تلك الفجوة العميقة داخل النفس المتسائلة والمستفسرة عن الخالق، فتستقر وتنمو فيها جوانب الفطرة السليمة التي فطر الله الناس عليها، قال صلى الله عليه وسلم: "ما من مولود إلا يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه، أو ينصرانه، أو يمجسانه، كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء، هل تحسّون فيها من جدعاء."[2] **والكثير من الآيات** دلت على أن الله هو الخالق والصانع لهذا الكون عموماً والإنسان خصوصا، ولأهمية هذا الأمر على سلوكيات الإنسان فقد بيّن المولى جل في علاه المراحل الدقيقة لخلق الإنسان وتكوينه المحكم، فقال سبحانه: ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٤﴾ ﴾[3]

فجميع هذه الآيات وغيرها تؤكد للإنسان و تعمق فيه أن الله هو الخالق جل في علاه، فيطمئن نفسيا، ويستقر روحياً. وهذا هو المناخ الأمثل لتنامي السلوك الإيجابي للإنسان، فقد تأكد لديه أن من خلقه بهذا الإحكام لم يخلقه عبثا، ولن يتركه سُدى، فالغاية عظيمة والمقصد كبير، فتتعزز لديه الثقة بهذه المعاني الجليلة، ويزداد سموا حين يعلم أن الخالق نفخ فيه من روحه، قال سبحانه: ﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٧٢﴾ ﴾[4] ويسمو بنفسه ويصونها من الهوان عندما يدرك أن الله كرمه ورفع قدره، وفضله على كثير من خلقه، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ

(١) سورة النمل، الآية ٨٨.

(٢) الجامع المسند الصحيح – صحيح البخاري – رقم الحديث: ١٣٥٩ – دار طوق النجاة – الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ.

(٣) سورة المؤمنون، الآية، ١٣، ١٤.

(٤) سورة ص، الآية ٧٢.

وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾ ﴾[1] وهنا يزاح الستار عن الإنسان، ويتبين له ما كان مخفيا عنه، وأصبح يراه ويعلمه ويكتسبه.

وتستمر هدايات القرآن بإرشاد الإنسان في سلوكياته الذاتية والفعلية نحو السلوكيات الإيجابية لأعمال القلوب، ونبذ السلبية الماحقة للإيجابية، ويتصدر الإخلاص أهم الأعمال القلبية كونه البوصلة الموجهة لقصد العمل والمراد منه، وبتحققه ترتفع الإيجابية في ارتفاع المقصد المطلوب وهو رضا الله سبحانه، قال تعالى: ﴿ قُلْ إِنِّيٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿١١﴾ ﴾[2] ويتحرر الإنسان من كل السلوكيات السلبية الظاهرة والباطنة، كون باعثها ونافثها يعجز أن يحققها فيه مع وجود الإخلاص، قال تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾ ﴾[3] ثم تنتقل به الهدايات نحو السلوكيات الأخرى التي سأذكر هنا بعضها فقط للإشارة إلى اهتمام الهدايات القرآنية بها كالصبر الذي هو مرتكز السلوكيات الباطنة والظاهرة، وتَحَلّى به القدوات من الأنبياء والمرسلين، قال سبحانه: ﴿ فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُوا۟ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍۭ بَلَٰغٌ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾[4].

وقد أرشدت الآيات إلى الصبر، وحثت عليه، نحو قول المولى جل في علاه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱصْبِرُوا۟ وَصَابِرُوا۟ وَرَابِطُوا۟ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾ ﴾[5] ولنا أن نتأمل التكامل والتلازم لسلوكيات الإخلاص

(١) سورة الإسراء، الآية ٧٠.
(٢) سورة الزمر، الآية ١١.
(٣) سورة الحجر، الآية ٣٩، ٤٠.
(٤) سورة الأحقاف، الآية ٣٥.
(٥) سورة آل عمران، الآية ٢٠٠.

والصبر في حياة الإنسان، فإذا غاب أحدهما تعثر الآخر. ومنها الشكر، ويكون بالقلب واللسان والجوارح، أما بالقلب، فهو إظهار الشكر لله بالتحميد.(١) والشكور من أسماء الله الحسنى، قال تعالى: ﴿ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٠﴾ ﴾ (٢) أي: غفور لذنوبهم شكور لطاعتهم.(٣)

وأرشدت الآيات – أيضاً – إلى أن الشكر من سلوكيات الأنبياء الذين أُمرنا بالاقتداء بهم، فهذا أبو الأنبياء إبراهيم عليهم الصلاة والسلام اتصف بهذا السلوك، قال تعالى: ﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾ شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ ٱجْتَبَىٰهُ وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٢١﴾ ﴾ (٤) وقبله اتصف به – كذلك – نوح عليه السلام، قال تعالى: ﴿ ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴿٣﴾ ﴾ (٥) فالشكر يحرر المرء من الجحود ونكران الفضل والنعمة والجميل، فيثني على من أكرمه وخلقه وأسدى له معروفاً، ويعترف بالفضل والجميل، فيعكف القلب على محبة المنعم، وهذا من السلوكيات الإيجابية العظيمة التي أرشدنا إليها القرآن. وتتوالى القيم الإيجابية للسلوكيات الباطنة كالخوف والرجاء والرضا والتوكل والمحبة والورع، وغيرها من القيم المنتشرة في ثنايا الكتاب العزيز، والمتميزة بترابطها مع بعضها البعض، ومنسجمة غير متعارضة، مما يولد بناءً متيناً من السلوكيات الإيجابية التي ترتقي بصاحبها نحو السمو والمثالية.

---

(١) مختصر منهاج القاصدين – نجم الدين أحمد بن عبد الرحمن بن قدامة المقدسي – ص ٢٧٧ – مكتبة دار البيان، دمشق – عام النشر: ١٣٩٨ هـ – ١٩٧٨م.

(٢) سورة فاطر، الآية ٣٠.

(٣) فتح القدير – العلامة محمد بن علي الشوكاني – جـ ٤، ص ٤٠٠ – الناشر: دار ابن كثير، دمشق، دار الكلم الطيب، بيروت – الطبعة: الأولى – ١٤١٤ هـ.

(٤) سورة النحل، الآية ١٢٠، ١٢١.

(٥) سورة الإسراء، الآية ٣.

المطلب الثاني: هدايات القرآن والسلوكيات الظاهرة:

بعد أن رَسَخَت هدايات القرآن في المشاعر والجوانب النفسية للإنسان، تتجه نحو سلوكياته الظاهرة والملموسة، فهي مقياسٌ للطباع، وجوهر الأخلاق التي يحملها، وبها يكون تقييمه بين الناس، إن كانت حسنة فهو حسن السلوك وإيجابي ومحبوب عندهم، وإن كانت غير ذلك فهو مشين، ومصنف تصنيفاً سلبياً في المجتمع، ولأن تصرفات الإنسان وسلوكياته مع المحيط الذي يعيش فيه تعد في غاية الأهمية، نجد القرآن الكريم اعتنى بها، وأرشد الإنسان إلى الطريقة المثلى للتعامل مع الغير،

ومن تكريم الله لهذا الإنسان أن بين له السلوكيات الحسنة، والتصرفات الإيجابية، وحثه على ضبط أفعاله وانفعالاته.

أولاً: الانضباط الذاتي:

الانضباط الذاتي هو السيطرة على الذات أو التصرفات بهدف التطوير الإيجابي للشخصية البشرية، بدافع من داخل الإنسان وليس من خارجه.(١) فالانضباط في التصرفات والأفعال يؤدي إلى الاتزان المحمود في جميع ما ينتج عن الإنسان من تصرفات، وتلاشي العشوائية والفوضى، لذلك لم يكتفِ التشريع بالإشارة فقط إلى الانضباط،

بل جعل العبادات التي هي من أركان الدين مرتبطة به، ولأهمية الانضباط والنظام فقد أوضح القرآن الكريم أن الكون بُني بإحكامٍ، ويعمل وفق نظام دقيق لا مجال فيه لغير الانضباط والدقة، وجعله دليلاً على وحدانية الخالق جل في علاه، قال سبحانه: ﴿ لَوۡ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَاۚ فَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ

(١) معجم اللغة العربية المعاصرة – د. أحمد مختار عبد الحميد بمساعدة فريق عمل – ج ١، ص ١٠٨– الناشر: عالم الكتب – الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ هـ – ٢٠٠٨ م.

ٱلۡعَرۡشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [1] ولأن النظام والدقة هو السلوك الأمثل، فقد جاء القرآن بالتدابير المنَمّية له في الإنسان ومنها:

١- أن السماوات والأرض، وكل ما في هذا الكون يعمل بنظام وحساب دقيق، لا مجال فيه للفوضى والعشوائية، قال تعالى: ﴿ لَوۡ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَاۚ فَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلۡعَرۡشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [2]

٢- قرن العبادات بأوقات محددة للدلالة على أهمية انضباط الأداء، مثل:

أ- الصلاة، حيث أمر الذكر الحكيم أن تُؤدى في أوقات معلومة، قال جل في علاه: ﴿ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتۡ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ كِتَٰبٗا مَّوۡقُوتٗا ﴿١٠٣﴾ ﴾.[3]

ب- الزكاة، ويتجلى فيها الانضباط في مقادير الأنصبة، وزمن الأداء، قال تعالى: ﴿ كُلُواْ مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثۡمَرَ وَءَاتُواْ حَقَّهُۥ يَوۡمَ حَصَادِهِۦۖ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ﴿١٤١﴾ ﴾ [4]

وتحديد الأصناف التي تجب لهم الزكاة، قال تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنشَأَ جَنَّٰتٖ مَّعۡرُوشَٰتٖ وَغَيۡرَ مَعۡرُوشَٰتٖ وَٱلنَّخۡلَ وَٱلزَّرۡعَ مُخۡتَلِفًا أُكُلُهُۥ وَٱلزَّيۡتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُتَشَٰبِهٗا وَغَيۡرَ مُتَشَٰبِهٖۚ كُلُواْ مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثۡمَرَ وَءَاتُواْ حَقَّهُۥ يَوۡمَ حَصَادِهِۦۖ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ﴿١٤١﴾ ﴾ .[5]

جـ- الحج، ويكون في أوقات معلومة من العام، ولا يقبل في غيرها، قال تعالى: ﴿ ٱلۡحَجُّ أَشۡهُرٞ مَّعۡلُومَٰتٞۚ ﴾ [6] وفي أماكن محددة، قال سبحانه: ﴿ لَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٌ أَن تَبۡتَغُواْ فَضۡلٗا مِّن رَّبِّكُمۡۚ فَإِذَآ أَفَضۡتُم مِّنۡ

(١) سورة الأنبياء، الآية ٢٢.
(٢) سورة يس، الآية ٤٠.
(٣)سورة النساء، الآية ١٠٣.
(٤) سورة الأنعام، الآية ١٤١.
(٥) سورة التوبة، الآية ٦٠.
(٦) سورة البقرة، الآية ١٩٧.

عَرَفَٰتٍ فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ عِندَ ٱلۡمَشۡعَرِ ٱلۡحَرَامِۖ وَٱذۡكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمۡ وَإِن كُنتُم مِّن قَبۡلِهِۦ لَمِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿١٩٨﴾ ﴾.[1]

ثانياً: التعامل مع الآخرين:

أ- سلوكيات الإنسان في أسرته:

يتابع القرآن بناءه التراكمي لسلوكيات الإنسان الإيجابية، ويرتقي به نحو الأفضل، ويضع مساره الإرشادي في تنمية هذه السلوكيات في الأسرة كونها المحيط الملاصق للفرد، والأكثر تعاملا معه، فعلمه أن أرقى سلوك في التعامل مع والديه هو الخضوع والتذلل لهما، والاعتناء بهما عند الكِبر، والدعاء لهما بالرحمة، مع الأدب المطلق. فما أروعه من سلوك، وما أجمله من تهذيب، وفي وجوده تعم الأجواء الإيجابية جميع أفراد الأسرة، قال تعالى: ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنًاۚ إِمَّا يَبۡلُغَنَّ عِندَكَ ٱلۡكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوۡ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفّٖ وَلَا تَنۡهَرۡهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوۡلٗا كَرِيمٗا ﴿٢٣﴾ وَٱخۡفِضۡ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحۡمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرۡحَمۡهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرٗا ﴿٢٤﴾ ﴾ [2]

فأنت كإنسان مسلم يجب عليك الإحسان لمن كانا سببا لوجودك، إذ لا مجال للعصيان أو رفع الصوت والتذمر، حتى وإن خالفاك في المعتقد وجب عليك الإحسان بهما في أوجه الحياة العامة، قال تعالى: ﴿ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشۡرِكَ بِي مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٞ فَلَا تُطِعۡهُمَاۖ وَصَاحِبۡهُمَا فِي ٱلدُّنۡيَا مَعۡرُوفٗاۖ وَٱتَّبِعۡ سَبِيلَ مَنۡ أَنَابَ إِلَيَّۚ ثُمَّ إِلَيَّ مَرۡجِعُكُمۡ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿١٥﴾ ﴾ [3] وهنا تتعزز قيم الإيجابية لدى الإنسان، وتنمو قيم الرحمة، ويُكبح في حضرتهما العنف والقسوة وسوء الخلق.

(١) سورة البقرة، الآية ١٩٨.
(٢) سورة الإسراء، الآية ٢٣.
(٣) سورة لقمان، الآية ١٥.

وأرشد القرآن الزوجين – كونهما مستند الأسرة وأساسها الأول – إلى أن رابطة الزواج هو الميثاق الغليظ، وأن مناخ الحياة الزوجية هو المودة والرحمة، قال تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ (١)

وهنا تتهيأ الأرضية لبناء السلوك الإيجابي بين الزوجين،

حيث أشار القرآن إلى التزام الحقوق المتبادلة بينهما في إطار المودة والرحمة لتتحقق الإيجابية فيهما، قال سبحانه: ﴿ وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٢٨﴾ ﴾ (٢)

ويُعزز الإيجابية بينهما في هذا المناخ المثمر للأجيال توضيح حق كلٍ منهما على الآخر، والإشارة إلى مَن له القرار السيادي في الأسرة، حتى لا تتأرجح المسؤولية بينهما أو يتنافسا عليها فتفسد سلوكياتهما،

فما أعظمه من دين، وما أحكمه من تشريع. ثم توسع الآيات دائرة السلوكيات الإيجابية لتشمل ثمرة هذه الأسرة وهم الأبناء، فنجد الأسلوب القرآني يوجه الهدف من هذه السلوكيات نحو صلاح الأبناء، ليسهل الطريق إلى تحقيقه، فالصلاح في الذرية هو الهدف الرئيسي، وهو ثمرة التعامل الإيجابي معهم، لذلك أكدت الآيات على هذا المقصد، وأهمية الاستعانة بالدعاء لتحقيقه، قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّـٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾ ﴾ (٣) قال البغوي رحمه الله:(٤) قرة أعين، يعني أولاداً أبراراً أتقياء، يقولون اجعلهم صالحين

(١) سورة الروم، الآية ٢١.
(٢) سورة البقرة، الآية ٢٢٨.
(٣) سورة الفرقان، الآية ٧٤.
(٤) محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (المتوفى: ٥١٠هـ)

فتقر أعيننا بذلك.[1] وبعد رسم الهدف والحث على الدعاء لتحقيقه، يرشدنا القرآن إلى نمط التعامل معهم، نحو مناداتهم بالبنوة – يا بني – وحثهم على التوحيد والصلاة والعلم والصبر، والتخلق بالفضيلة بأسلوب حكيم ولين، كما في سورة لقمان. ثم تلفت الآيات الانتباه للتعامل الإيجابي مع الأسرة الكبرى الشاملة لذوي القربى، وجميع القرابات سواء من جهة الأب أو الأم، من خلال الإحسان إليهم، والإنفاق عليهم، فقال سبحانه: ﴿ وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗا وَبِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡجَارِ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡجَارِ ٱلۡجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلۡجَنۢبِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخۡتَالٗا فَخُورًا ٣٦ ﴾ [2] وقال جل ذكره: ﴿ يَسۡـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَۖ قُلۡ مَآ أَنفَقۡتُم مِّنۡ خَيۡرٖ فَلِلۡوَٰلِدَيۡنِ وَٱلۡأَقۡرَبِينَ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِۗ وَمَا تَفۡعَلُواْ مِنۡ خَيۡرٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ٢١٥ ﴾ [3] وهنا تعم التصرفات الإيجابية المفعمة بالحب والسكينة جميع أعضاء الأسرة، صغيرها وكبيرها، قريبها والبعيد.

ب_ سلوكيات الإنسان في مجتمعه:

بعد أن شاهدنا ولمسنا الإرشادات الربانية في تعزيز الإيجابية في الإنسان، وفي خلجات نفسه ومشاعره، وفي سلوكه مع أسرته، نجدها هنا تتسع – أيضا – لتشمل المجتمع المحيط به من كل جانب، وتبني القيم المثلى في شتى تصرفاته. وتتجلى عظمة التشريع في التوجيه الشامل للسلوك البشري نحو الذروة المثالية للقيم، والأعمال الحميدة، والأخلاق الفاضلة، حيث تنطلق في محيطه الخارجي

(١) معالم التنزيل في تفسير القرآن (تفسير البغوي) – أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي – جـ ٣، ص ٤٥٩ – دار إحياء التراث العربي، بيروت – الطبعة : الأولى ، ١٤٢٠ هـ.
(٢) سورة النساء، الآية ٣٦.
(٣) سورة البقرة، الآية ٢١٥.

من الجوار وضعفاء المجتمع، كونهم الأهم من غيرهم، والأجدر بهذا السلوك لقربهم، أو ضعفهم وحاجتهم، قال تعالى: ﴿ وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗا وَبِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡجَارِ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡجَارِ ٱلۡجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلۡجَنۢبِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخۡتَالٗا فَخُورًا ٣٦ ﴾ [1] والإحسان هو: المبالغة في العطاء الزائد.[2]

ثم تؤكد الآيات على السلوكيات اللفظية في هذا الفضاء الواسع لأهميتها في تقييم القيم السلوكية للإنسان، لأن الكلام مغارف لما يُكِنُّه الإنسان ويخفيه في باطنه، فاهتم التشريع الإسلامي باللسان وما يتلفظ به، ولم تكتفِ النصوص القرآنية بتوجيه الإنسان إلى قول الكلام الحسن، بل حثته على قول الأحسن منه وهو غاية التهذيب اللفظي، قال تعالى: ﴿ وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُواْ ٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ يَنزَغُ بَيۡنَهُمۡۚ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ كَانَ لِلۡإِنسَٰنِ عَدُوّٗا مُّبِينٗا ٥٣ ﴾ [3] وبيّن القرآن الكريم أن ما يصدر من قولٍ هو مراقب، لتعميق التأني عند الكلام، وهذا يحذر الإيجابية في السلوك، ويجعل العبارات الخارجة من الفم مُحكمة ونافعة، لأنها مدونة، ومؤاخذ عليها، قال تعالى: ﴿ مَّا يَلۡفِظُ مِن قَوۡلٍ إِلَّا لَدَيۡهِ رَقِيبٌ عَتِيدٞ ١٨ ﴾ [4] ثم تؤكد الآيات ضبط السلوكيات اللفظية بألا يقال إلا ما كان سديداً، وأوضحت الثمرة المجتناة من هذا القول السديد من صلاح الأعمال، ومغفرة الذنوب، والفوز العظيم بطاعة الله ورسوله، وهذا محفزٌ مهمٌ

(١) سورة النساء، الآية ٣٦.
(٢) تفسير الشعراوي – الشيخ محمد متولي الشعراوي – سورة النساء – جـ ٤، ص ٢٢٠٩ – الناشر: مطابع أخبار اليوم، ١٩٩٧م.
(٣) سورة الإسراء، الآية ٥٣.
(٤) سورة ق، الآية ١٨.

للسلوك الإيجابي، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١ ﴾ (١)

وتُعدد الآيات أبرز المجالات في القول السديد، مثل الأمر بالمعروف، والصدقة وإصلاح ذات البين، قال تعالى: ﴿ لَّا خَيۡرَ فِي كَثِيرٖ مِّن نَّجۡوَىٰهُمۡ إِلَّا مَنۡ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوۡ مَعۡرُوفٍ أَوۡ إِصۡلَٰحِۭ بَيۡنَ ٱلنَّاسِۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوۡفَ نُؤۡتِيهِ أَجۡرًا عَظِيمًا ١١٤ ﴾ (٢) وفي السنة – كذلك – دلالةٌ بالغة على أهمية اللسان وما يصدر عنه، فقد روى معاذ بن جبل رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "ألا أخبرك برأس الأمر وعموده وذروة سنامه؟ فقلت: بلى يا رسول الله، قال: رأس الأمر وعموده الصلاة، وذروة سنامه الجهاد، ثم قال: ألا أخبرك بملاك ذلك كله؟ فقلت له: بلى يا نبي الله، فأخذ بلسانه فقال: كف عليك هذا، فقلت: يا رسول الله وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به؟ فقال: ثكلتك أمك يا معاذ! وهل يكب الناس على وجوههم في النار أو قال على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم."(٣)

ويرشد القرآن الإنسانَ إلى أهمية التحية، وإلقاء السلام لأنها من السلوكيات اللفظية المتكررة في اليوم والليلة، قال تعالى: ﴿ فَإِذَا دَخَلۡتُم بُيُوتٗا فَسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۡ تَحِيَّةٗ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِ مُبَٰرَكَةٗ طَيِّبَةٗۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِ لَعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ٦١ ﴾ (٤) وهذا الحث على السلام قابله – أيضا – الحث

(١) سورة الأحزاب، الآية، ٧٠، ٧١.
(٢) سورة النساء، الآية ١١٤.
(٣) سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها – المحدث ناصر الدين الألباني – رقم الحديث (١١٢٢) – جـ ٣ – ص ١١٥ – الناشر: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض – الطبعة: الأولى لمكتبة المعارف – ١٤١٥هـ – ١٩٩٥م.
(٤) سورة النور، الآية ٦١.

على رده، لما للسلام ورده من تعزيز للتواصل الإيجابي في المجتمع، فقال جل ذكره: ﴿ وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّواْ بِأَحۡسَنَ مِنۡهَآ أَوۡ رُدُّوهَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٍ حَسِيبًا ٨٦ ﴾ (١) وتهذيب السلوكيات اللفظية كثير في القرآن، وعلى جميع الأصعدة والمستويات، فقد أرشدنا القرآن للإيجابية والإحسان بالقول، واللين فيه حتى مع غير المسلمين، فقال تعالى: ﴿ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمۡ وَٰحِدٞ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ٤٦ ﴾ (٢) وفي مخاطبة المخالفين في المعتقد، أو من يصنفوا من الأعداء أو الأشرار، يقول تعالى: ﴿ فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلٗا لَّيِّنٗا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوۡ يَخۡشَىٰ ٤٤ ﴾ (٣) ونوهت النصوص القرآنية إلى مقت القول السيء، والألفاظ السلبية المشينة، كونها تمزق النسيج الإيجابي الذي رسمته الشريعة للمجتمع، فقال سبحانه: ﴿ لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلۡجَهۡرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ إِلَّا مَن ظُلِمَۚ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا ١٤٨ ﴾ (٤) وحذر القرآن من تزييف الحقائق وتبديلها، فقد ذمّ الله الكذب وصاحبه، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَنۡ هُوَ كَٰذِبٞ كَفَّارٞ ٣ ﴾ (٥) وقال جل ثناؤه: ﴿ إِنَّمَا يَفۡتَرِي ٱلۡكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰذِبُونَ ١٠٥ ﴾ (٦) **وتتوج الهدايات القرآنية بانفرادها** في تحفيز السلوك الإيجابي في المجتمع نحو من مات قديما أو حديثا، وتذكيرهم بالدعاء لهم بالمغفرة، دون إغفال الدعاء للأحياء بطهارة القلب، وسلامة الصدر من الغل، ليحيا المجتمع في أجواء المحبة

(١) سورة النساء، الآية ٨٦.
(٢) سورة العنكبوت، الآية ٤٦.
(٣) سورة طه، الآية ٤٤.
(٤) سورة النساء الآية ١٤٨.
(٥) سورة الزمر، الآية ٣.
(٦) سورة النحل، الآية ١٠٥.

والصفاء للأحياء، ويحفظ أعراض من ماتوا، قال الحي الدائم الذي لا يموت: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ ١٠ ﴾ (١)

المبحث الثاني: شمول الهدايات الربانية وتحفيزها للسلوك الإنساني

تميزت الهدايات القرآنية عن غيرها من التشريعات والقوانين المنظمة للسلوك الإنساني بخصائص جعلها تحوز على قصب السبق في تحقيق السلوكيات الحسنة والإيجابية لجميع شرائح المجتمع، ومجالاته المختلفة، بألفاظٍ صغيرة المبنى، عظيمة المعنى.

المطلب الأول: شمول الهدايات القرآنية لشرائح المجتمع

من خصائص الهدايات القرآنية شمولها كل شرائح المجتمع حال توجيهها للسلوك الإنساني نحو الإيجابية، فهي تستهدف الإنسان والأسرة والمجتمع، وترشدهم إلى السمو الخُلقي، والتعامل الإيجابي بالبر والقسط مع المسلم وغير المسلم، قال تعالى: ﴿ لَّا يَنۡهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمۡ يُقَٰتِلُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ وَلَمۡ يُخۡرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمۡ أَن تَبَرُّوهُمۡ وَتُقۡسِطُوٓاْ إِلَيۡهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ ٨ ﴾ (٢) وقال سبحانه: ﴿ وَلَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شَنَـَٔانُ قَوۡمٍ أَن صَدُّوكُمۡ عَنِ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ أَن تَعۡتَدُواْۘ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ٢ ﴾ (٣) وبينت سبل التقدم في معارج الإيجابية للمؤمن والعاصي،

(١) سورة الحشر، الآية ١٠.
(٢) سورة الممتحنة، الآية ٨.
(٣) سورة المائدة، الآية رقم ٢.

فخاطبت المؤمنين كما – ذكرنا سابقا – وأرشدتهم نحو القيم الإيجابية، وأذكر هنا فقط هذه الآية لشمولها شريحة المؤمنين في المجتمع، الذكر والأنثى، الكبير والصغير، فهي جامعة لمسالك الإيجابية ومحذرة من دروب السلبية والرذيلة، قال سبحانه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةٗ وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ٢٠٨ ﴾ (١) قال مجاهد وقتادة: نزلت في المسلمين يأمرهم بالدخول في شرائع الإسلام كلها.(٢) أيضاً بينت الآيات أن الطريق المستقيم متاح أمام العصاة، وأن باب الرحمة والفضيلة والإيجابية لم يغلق أمامهم، فالفرصة متاحة لهم، قال تعالى: ﴿ ۞ قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ٥٣ ﴾ (٣) كذلك راعت الهدايات القرآنية سلوكيات الشرائح المختلفة من المجتمع، كالأغنياء والفقراء الذين حثتهم على استمرار السلوكيات الإيجابية فيما بينهم، وعدم تركها بسبب خلاف هنا، أو سوء تصرف هناك، قال جل ذكره: ﴿ وَلَا يَأۡتَلِ أُوْلُواْ ٱلۡفَضۡلِ مِنكُمۡ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤۡتُوٓاْ أُوْلِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينَ وَٱلۡمُهَٰجِرِينَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ وَلۡيَعۡفُواْ وَلۡيَصۡفَحُوٓاْۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٢٢ ﴾ (٤) وشملت هدايات القرآن الحاكم والمحكوم، وكلفت الجميع بالوفاء وآداء الأمانات، وأمرت الحكام بإقامة العدل، فقال جل ثناؤه: ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن

(١) سورة البقرة، الآية ٢٠٨.
(٢) مجموع الفتاوى – شيخ الإسلام ابن تيمية – جـ ٧، ص ٢٧٧ – تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم – الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف – عام النشر: ١٤١٦هـ-١٩٩٥م.
(٣) سورة الزمر، الآية ٥٣.
(٤) سورة النور، الآية ٢٢.

تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعَۢا بَصِيرٗا ﴿٥٨﴾ ﴾ (١) كما حثت الرعية على الانضباط، والسمع والطاعة، مع توضيح مرجعية الخلاف إن وقع، فقال سبحانه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ﴿٥٩﴾ ﴾ (٢).

واهتمت بالتاجر والمستهلك، فهذبت التعاملات السائدة بينهما، وحذرت من التعدي والتحايل، قال تعالى: ﴿ وَيۡلٞ لِّلۡمُطَفِّفِينَ ١ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكۡتَالُواْ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسۡتَوۡفُونَ ٢ وَإِذَا كَالُوهُمۡ أَو وَّزَنُوهُمۡ يُخۡسِرُونَ ٣ ﴾ (٣) وقال سبحانه: ﴿ وَإِلَىٰ مَدۡيَنَ أَخَاهُمۡ شُعَيۡبٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥۖ قَدۡ جَآءَتۡكُم بَيِّنَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡۖ فَأَوۡفُواْ ٱلۡكَيۡلَ وَٱلۡمِيزَانَ وَلَا تَبۡخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشۡيَآءَهُمۡ وَلَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ بَعۡدَ إِصۡلَٰحِهَاۚ ﴾ (٤)وهذه نماذج بسيطة لشمول القرآن لهذه الشرائح، والمتأمل في كتاب الله يجد الكثير والكثير منها.

المطلب الثاني: شمول الهدايات القرآنية لمجالات الحياة:

من خصائص الهدايات القرآنية في تعزيز السلوكيات الفاضلة والأخلاق الحميدة شمولها – أيضا – مجالات الحياة المتنوعة، فالعبادات وتهذيب النفس من هذه المجالات الهامة التي أرشدت الآيات إليها، قال تعالى: ﴿ قَدۡ أَفۡلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ١٤ وَذَكَرَ ٱسۡمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ١٥ ﴾ (٥) وامتدحت الآيات سلوكيات وأعمال من تحلوا بالعبادة، فقال سبحانه: ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنٗا وَإِذَا

(١) سورة النساء، الآية ٥٨.
(٢) سورة النساء، الآية ٥٩.
(٣) سورة المطففين، من الآية ١ إلى الآية ٣.
(٤) سورة الأعراف، الآية ٨٥.
(٥) سورة الأعلى، الآية ١٤، ١٥.

خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴿٦٣﴾ وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَٰمًا ﴿٦٤﴾ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ ۖ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٥﴾ إِنَّهَا سَآءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٦٦﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُوا۟ لَمْ يُسْرِفُوا۟ وَلَمْ يَقْتُرُوا۟ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾ وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾ وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ مَتَابًا ﴿٧١﴾ وَٱلَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا۟ بِٱللَّغْوِ مَرُّوا۟ كِرَامًا ﴿٧٢﴾ ﴾ (١) وتشير الهدايات لمجالات غير العبادات، كالحفاظ على الإنسان من الموت، والحفاظ على صحته بمنعه من تناول المضر، قال المولى جل في علاه: ﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٢٩﴾ ﴾ (٢) وقال سبحانه في حفظ حياة الآخرين: ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾ ﴾ (٣) وقال سبحانه: ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ وَٱلْمُنْخَنِقَةُ وَٱلْمَوْقُوذَةُ وَٱلْمُتَرَدِّيَةُ وَٱلنَّطِيحَةُ وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ وَأَن تَسْتَقْسِمُوا۟ بِٱلْأَزْلَٰمِ ۚ ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ ۗ ٱلْيَوْمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِ ۚ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ۚ فَمَنِ ٱضْطُرَّ فِى مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣﴾ ﴾ (٤) وتطرقت الهدايات لمجال القضاء والتحاكم، والصلح والتعاقد، فقال جل ذكره: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا

(١) سورة الفرقان، من الآية ٦٣ إلى الآية ٧٢.
(٢) سورة النساء، الآية ٢٩.
(٣) سورة الأنعام، الآية ١٥١.
(٤) سورة المائدة، الآية ٣.

حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُواْ بِٱلْعَدْلِۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿٥٨﴾ ﴾ (١) وقال سبحانه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْۚ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ ﴾ (٢)

وفي التثبّت قال جل ذكره: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوْمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَٰدِمِينَ ﴿٦﴾ ﴾ (٣) وقال سبحانه: ﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَاۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓاْۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٩﴾ ﴾ (٤) وفي الالتزام بالعقود سواء كانت من عقود المعاوضات أو التبرعات أو الإسقاطات، يقول سبحانه:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوْفُواْ بِٱلْعُقُودِۚ أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلْأَنْعَٰمِ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّي ٱلصَّيْدِ وَأَنتُمْ حُرُمٌۗ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ ﴿١﴾ ﴾ (٥) وألهمت الآيات بني البشر السلوك الأمثل في مجال الأخلاق، وطرق التعامل فيما بينهم، قال سبحانه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسْخَرْ قَوْمٞ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّۖ وَلَا تَلْمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلْأَلْقَٰبِۖ بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَٰنِۚ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿١١﴾ ﴾ (٦) وقال جل ذكره: ﴿ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًاۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٖ فَخُورٖ ﴿١٨﴾ ﴾ (٧) وفي مجال الدعوة بيّنت الآيات السلوكيات الإيجابية لتحقيقها والانتفاع بها،

(١) سورة النساء، الآية ٥٨.
(٢) سورة المائدة، الآية ٨.
(٣) سورة الحجرات، الآية ٦.
(٤) سورة الحجرات، الآية ٩.
(٥) سورة المائدة، الآية ١.
(٦) سورة الحجرات، الآية ١١.
(٧) سورة لقمان، الآية ١٨.

قال العزيز الحكيم: ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ١٢٥ ﴾[1]

هذه بعض المجالات التي شملتها الآيات القرآنية لإرشاد البشرية نحو الإيجابية والفضيلة، ذكرتها كنماذج لشمول التشريع الإسلامي كل ما من شأنه الارتقاء والنهوض بالإنسان.

(١) سورة النحل، الآية ١٢٥.

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، نحمده على توفيقه وتسهيله لإنجاز هذا البحث، والصلاة والسلام على سيدنا محمد، وبعد :

ونحن في نهاية هذا البحث، بقي أن نذكر أبرز النتائج والتوصيات المستخلصة منه.

أولا: النتائج:

١. أن الإنسان يتمتع بسلوكيات ظاهرة وباطنة، يمارسها في مجالات متنوعة، ومع أصناف متعددة، لذلك نجد المشرع قد مهد لها الطريق المستقيم نحو الفضيلة والإيجابية والخلق الحسن.

٢. أن القرآن الكريم اهتم بغرس السلوكيات الإيجابية الباطنة في الإنسان، ونماها وهذبها، وحافظ عليها من مفسداتها، كونها منطلق كل السلوكيات والتصرفات البشرية.

٣. تَمَيُّز الهدايات القرآنية بربطها بين التصرفات والسلوكيات والمشاعر والأحاسيس والمحيط المستخدمة فيه، من تفكير ذاتي وأسرة وجوار وأصدقاء ومجتمع، لتخرج ببناء عظيم ومتين من القيم الإيجابية.

٤. تنوع وسائل الإرشاد للسلوك الإيجابي، وشمولها مجالات الحياة، وإلمامها بالأصناف المتعامل معها، تثبت عظمة القرآن، وقداسته التي تذعن أمامها النظريات السلوكية القاصرة في إلمامها وتنوعها وشمولها.

ثانيا: التوصيات:

الاهتمام بهدايات القرآن للسلوك الإنساني، وذلك من خلال:

أ- إدراج هذه الهدايات العظيمة في المناهج الدراسية لجميع المراحل والمستويات، وإنشاء قسم الهدايات القرآنية في كليات القرآن الكريم وعلومه.

ب- تزويد الخطباء والدعاة والمرشدين بالهدايات المناسبة للوقائع والأحداث المجتمعية، وفي الأفراح والأتراح.

جـ- نشر هذه الهدايات عبر البرامج التلفزيونية والإذاعية، والمنصات الإعلامية المختلفة، وبلغة وأسلوب يتناسب مع كل الشرائح والفئات.

د- وضع منهج خاص للهدايات القرآنية يتناسب مع طبيعة الأخصائي الاجتماعي، والطبيب النفسي، ولجان التحكيم.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم، مصحف المدينة، الإصدار الثاني.

١. تفسير الشعراوي – الشيخ محمد متولي الشعراوي – الناشر: مطابع أخبار اليوم، ١٩٩٧م.

٢. تهذيب اللغة – محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور – الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت – الطبعة: الأولى، ٢٠٠١م.

٣. الجامع المسند الصحيح – صحيح البخاري – دار طوق النجاة – الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ.

٤. سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها – الناشر: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض – الطبعة: الأولى لمكتبة المعارف – ١٤١٥ هـ – ١٩٩٥ م.

٥. فتح القدير – العلامة محمد بن علي الشوكاني – الناشر: دار ابن كثير، دمشق، دار الكلم الطيب، بيروت – الطبعة: الأولى – ١٤١٤ هـ.

٦. القاموس المحيط – مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى – الناشر: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – الطبعة: الثامنة، ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥ م.

٧. لسان العرب – أبو الفضل جمال الدين ابن منظور – الناشر: دار صادر، بيروت – الطبعة: الثالثة – ١٤١٤ هـ.

٨. مجموع الفتاوى – شيخ الإسلام ابن تيمية – تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم – الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف – عام النشر: ١٤١٦هـ-١٩٩٥م.

٩. مختصر منهاج القاصدين – نجم الدين أحمد بن عبد الرحمن بن قدامة المقدسي– مكتبة دار البيان، دمشق – عام النشر: ١٣٩٨ هـ – ١٩٧٨م.

١٠. معالم التنزيل في تفسير القرآن (تفسير البغوي) – أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي – دار إحياء التراث العربي، بيروتالطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ.

١١. معجم اللغة العربية المعاصرة – د. أحمد مختار عبد الحميد بمساعدة فريق عمل – الناشر: عالم الكتب – الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ هـ – ٢٠٠٨م.

١٢. المعجم الوسيط – تأليف: مجمع اللغة العربية بالقاهرة – الناشر: دار الدعوة – المكتبة الشاملة.

١٣. الهدايات القرآنية – تأليف: نخبة من المختصين في الهدايات القرآنية – من إصدارات جامعة أم القرى، مركز مكة العالمي للهدى القرآني – الطبعة الثانية.